بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية المدونة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن من نعم الله عليّ أن جعلني من بيت يدين بالدين الخالص، وفتحت عيني فوجدت الجَدّ والوالدين وجميع أهل القرية على مذهب أهل الحديث عقيدة وعملاً، ودرست على أيدي علماء أهل الحديث.

ثم أكرمني أن درست في الجامعة السلفية بالهند، ثم في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، واستفدت بفضل ربي من علماء أعلام في زمانهم، فقد كنت أحرص على حضور دروس ومحاضرات إمام الزمان الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله إبّان كونه نائب رئيس الجامعة الإسلامية، كما كنت أجلس في دروس الشيخ عمر بن محمد فلاتة في الموطأ. وقد درست على العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان، ودرست عليه تآليفه في المقدمات المنطقية وآداب البحث والمناظرة، وكذلك مذكرته في أصول الفقه في فصول الجامعة، و لم يكن يفوتني دروسه في التفسير التي كان يلقيها في المسجد النبوي.

كما منّ الله علي أن درست على العلامة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري علوم الحديث لابن الصلاح، وكان الشيخ بحرًا في علوم السنة، فقد أملى علينا في تلك الأيام أسماء كتب وكذلك فوائد كثيرة لم نصل إلى أكثرها إلا في الكتب المطولة التي وجدناها مطبوعة في هذه الأيام، و لم تكن رأت النور في أيامه. واستفدت في المدينة من هذا العلامة ما لم أستفد من غيره في جانب الحديث وعلومه، وكنت أحضر إلى بيته بعد العصر ويكلفني العلامة الشيخ مراجعة كتب السنة وغيرها وأنا في السنة الأولى من الكلية، ويملي علي ما شاء الله، فاستفدت في مراجع السنة وعلومها مبكرًا، ما لم يصل إليه أكثرون إلا في دراستهم في الماجستير والدكتوراه.

كما منّ الله علي أن جاء العلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي مدرسًا بالجامعة الإسلامية، فلازمتُه في أكثر الأوقات، فاستفدت بفضل الله منه في علوم اللغة كثيرًا، وكذلك في السنة، وسافرت معه في حجتين درست عليه فيهما عدة كتب، كما درست عليه مقدمة تحفة الأحوذي أكثرها. وأملى عليّ كتاب «الهدية الهادية» وراجعت له الكتب التي كان يحتاج إليها في تأليفه حتى أرسل الكتاب إلى زهير الشاويش للطبع باسم «فكاك الأسير العاني المكبول بالكبل التيجاني»، ثم استشار زهيرٌ أن يغير اسمه بالاسم المعروف، فأذن الشيخ.

وكان لي قرب قوي من العلامة شيخي محمد بن عبد الله السبيل، وقد سافرت معه في الخارج عدة سفرات، واستفدت من مرافقته ومجالسه في جوانب شتى.

كما استفدت من الشيخ العلامة ابن عثيمين في مجالسه الخاصة، وأستفيد من تحقيقاته النفيسة في المسائل.

رحم الله جميع هؤلاء، لم يبق منهم أحد إلا العلامة محمد السبيل ألبسه الله لباس الصحة والعافية، وغيرهم مشايخ كثيرون، جزاهم الله بما يجازي عباده الصالحين.

ذكرت هؤلاء تحدثا بنعمة الله، ثم أكرمني الله عز وجل أن درست الكتاب والسنة وعلومهما في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة، أولى كلية في المملكة العربية السعودية التي بدأت بالدراسات العليا. ودرّست في معهد الحرم المكي وأنا كنت في مرحلة الدكتوراه، وكانت رئاسة شئون المسجد الحرام والمسجد النبوي تكلفني بالفتوى قبل تخرجي من الدكتوراه وبعده. ثم انتقلت إلى جامعة أم القرى سنة 1409هـ ودرّست فيها وحصلت على جميع الترقيات العلمية: أستاذ مشارك وأستاذ (بروفيسور).

وأعظم شرف لي أكرمني الله به أنه هيأ لي التدريس والفتوى في المسجد الحرام بالأمر الملكي الكريم، وأنا أحِسّ دائمًا أن التدريس والفتوى في المسجد الحرام كما أنهما شرف كبير فبقدر شرفهما مسئوليتهما كبيرة عند الله ثم عند الناس.

وأنا أؤمن بما قرر السلف أن التعليم الديني والفتوى وظيفة الأنبياء والمرسلين، وأن العلماء ورثة الأنبياء، فهم يوقّعون عن الله عز وجل، وينقلون الأحكام عن الله، الأحكام التي

تلقاها جبريل عن الله، وهو قد بلّغها عن الله إلى أنبياء الله ورسله، وهم بلّغوا أممهم، ولا يأتون بشيء من عند أنفسهم، فكذلك لا يجوز لعالم أن يفتي برأي فلان وعلان إن لم يكن رأي الناس مدعّمًا بدليل الكتاب والسنة وآثار الصحابة أوالقياس على الأدلة السابقة.

وأحس دائمًا أن هذا المكان المبارك هو الذي كان يجلس فيه لغرض التعليم والتربية جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر وابن عباس وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وغيرهم من المذكّرين من الصحابة الكرام. [ينظر مصنف ابن أبي شيبة، والقرى لقاصد أم القرى].

كما جاور فيه علماء ومحدّثون كانوا يجلسون سنين للتحديث والتعليم، وكان الناس يحجون رغبة في الأجر ومنافع أخرى، من أهمها الاستفادة وحصول الرواية عن الأئمة كما قال أيوب السختياني رحمه الله: كانوا يحجون للُّقي [العلل ومعرفة الرجال 324/2].

هذا وقد سُئِلت كثيرًا في الحضر والسفر عن بعض تحقيقاتي ومؤلفاتي وعن المحاضرات والدروس المسجلة في المسجد الحرام وغيره، وطلب مني بعضهم إدخالها في شبكة الهوائية العنكبوتية. وحرص على هذا الأمر بعض أبنائي -خاصة ابني أنس-، وبعض الإخوة الفضلاء والطالبات النابهات من جامعة أم القرى، فجمعوا ما وجدوا منها وفتحوا الموقع، فجزاهم الله خيرًا.

ولا شك أن الناظرين في المسائل العلمية عامةً أنواع، منهم من ينظر بعين الرضا والاستفادة، ومنهم من ينظر بعين السخط والنقد الإسقاط، ومنهم من يرى بعين النقد والإصلاح، لأن المسلمين تفرقوا في مذاهبهم العلمية والعقدية مذاهب مختلفة بعضها من بعض، فرجائي من الجميع أنهم إذا وجدوا خطأ وزللاً -ولا بد منهما- فينبّهوا ويشاركوا في إصلاح ما فسد، وليكن هِجّيرانا مع الذي يريد الحق والإصلاح والنصيحة، لا الفضيحة. أما المبتدع والمتعنّت فمعه موقف آخر، وأنا أخوكم السلفي الأثري المحمدي المذهب، فالنصيحة واجبة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

كتبه

وصي الله بن محمد عباس

الجمعة 9 من ربيع الثاني 1433هـ